

## المحاضرة الرابعة

### خصائص النظم الإسلامية ومصادره

#### خصائص النظم الإسلامية :

للنظم الإسلامية عدد من الخصائص هي في مجملها تشترك مع خصائص الشريعة الإسلامية ومنها:

#### ١. التوسط والاعتدال

إذا نظرت إلى الأنظمة الإسلامية وجدتها وسطاً في كل أحكامها وأسأرب لذلك مثلاً واحداً لنظامين مختلفين هما : النظام الرأسمالي ، والنظام الاشتراكي فقد تطرف كل منهما في موضوع الملكية فالأول أباح الملكية الفردية مطلقاً وأباح تبعاً لذلك كل وسائل تملك المال وأدى ذلك إلى تكسب المال لدى فئة قليلة بينما بقيت الجموع الهائلة تكدح لتحصيل الكفاف من العيش ، أما الثاني فإنه يلغي

الملكية الفردية ويرأها عاملاً قوياً من عوامل تخريب العالم ودماره ، ويجعل كل قوى الإنتاج ملكاً للدولة لا حق فيها للأفراد إلا بقدر حاجتهم.

وإذا نظرنا إلى الأنظمة الإسلامية نجدها قد جاءت بالتوسط والاعتدال فإنها لم تبج الملكية إباحة مطلقة كالرأسمالية ولم تمنعها بالإطلاق كالشيوعية وإنما توسطت في ذلك فأباحتها مقيدة والتقييد إنما جاء ببيان الوجوه المشروعة للكسب .

#### . الموازنة بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة :

فالمسلم لا يشعر أن هناك تعارض بين تحقيق مصالحه ومصالح المجتمع الذي يعيش فيه فعلى سبيل المثال الزكاة مصلحة جماعية تعالج مشكلات الفقر وكون الفرد يؤديها تقرباً إلى الله لتحصيل الأجر الثواب ، وصلاة الجماعة تحقق أهدافاً اجتماعية ضخمة وهي في الوقت نفسه تعود على صاحبها بمنافع خاصة.

#### ٣. الواقعية واليسر :

ليست قواعد النظم الإسلامية ضرباً من خيال أو أوامر صعبة ينكرها العقل السليم بل هي تلامس احتياجات الإنسان وتقدر تغيّر ظروفه من صحة ومرض وإقامة وسفر وتتلائم معها خذ مثلاً في نظام العبادة : الصلاة أو الصيام تجد أن طريقة أدائهما تتغير وفقاً لصحة المسلم المأمور بهما كما أن إقامته وسفره قد تؤثران في أدائه فيباح له الفطر حين السفر كما يباح له جمع بعض الصلوات وقصرها.

#### ٤. شمول الشريعة لجوانب الحياة :

مما يدل على سعة الشريعة أنها عنيت بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله ، كما عنيت بالفرد والأسرة والمجتمع ، وقد وضعت نظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وشرعت قيام الدولة الإسلامية وحددت معالمها ورسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها في حالتي السلم والحرب وإذا كانت النظم الوضعية تزعم أنها تعنى بحياة الإنسان الدنيوية فإن النظام الإسلامي وحده هو الذي يصل الدنيا بالآخرة ويرسم طريق السعادة الأبدية ويصل الإنسان بخالقه ومعبوده ، ولا يمكن أن تتطلع النظم الأرضية إلى هذا الأفق السامي فهي محكومة بعالم الدنيا ، والعالم الذي حصرت فيه نفسها ولا تستطيع أن تصلحه .

يقول محمد أسد : "لم يكن الذي جذبني إلى الإسلام تعليماً خاصاً من التعاليم ، بل ذلك البناء المجموع العجيب والتراسل بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعه ، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ، ويشد بعضها بعضاً فليس هناك شيء لا حاجة إليه ، وليس هناك نقص في شيء ، فنتج عن ذلك ائتلاف متزن مرصوص ، ولعل هذا الشعور من جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي" ، وصدق الله عز وجل إذ يقول : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) قال تعالى : "أكملت لكم دينكم" ولم يقل أتممت لكم ليشمل الإتمام مع الكمال وذلك فيه دلالة على أن الدين ليس بشرعة أمة دون أمة ولا لعصر دون عصر ولا لمصر دون مصر ؛ وقال عز وجل : " أتممت عليكم نعمتي" ولم يقل أكممت ليبين أن نعمة الإيمان تزيد وتنقص.

#### مصادر النظم :

إنَّ النظم تنتوع من حيث مصدرها على ثلاثة أنحاء: شرع منزل وهو شرع الله ورسوله، وشرع متأول، وهو: ما ساغ فيه الاجتهاد، وشرع مبدل؛ وهو: ما كان من الكذب والفجور الذي يفعله المبطلون بظاهر الشرع أو البدع أو الضلال الذي يضيفه الضالون إلى الشرع" .

وإذا تأملنا كلام احد علماء الامة رحمه الله نجد أن مصادر النظم تنقسم إلى طريقتين:

**الأول : طريق الوحي الإلهي .**

**الثاني : طريق العقل البشري .**

وقد عرفت المجتمعات البشرية هذين الطريقتين منذ القدم ، فقد أنزل الله عزوجل وحيه على رسله في كل الأمم يحمل للناس ما ينظم شؤون حياتهم ويحدد حقوق كل فرد وواجباته ، وبرغم وجود هذا

الوحي فإن كثيراً من الناس أعرضوا عنه وأخذوا يسنون القوانين والتشريعات لأنفسهم فما استقامت لهم الحياة وضلوا وتخبطوا فعقول البشر قاصرة عن الإمام بجميع الأطراف التي تتصدى لتنظيمها كما أنها محدودة بالمكان والبيئة التي تعيش فيهما ، كما أن الإنسان الذي هو موضوع التنظيم لا يزال جاهلاً بنفسه فكيف يضع النظام الذي يكفل المحافظة على ضروراته ويلبي حاجاته ومطالب حياته بصفة شمولية متوازنة؟.

نخلص من ذلك أن طريق الوحي الإلهي هو الأكمل والأشمل والأتم ولا مجال لمقارنته بنظم اخترعها البشر قال تعالى : (( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ )) .

فالنظم الإسلامية : ربانية المصدر ، ولم يكن الإسلام نظاماً مغلقاً فاكتفى بالقرآن بحسابه رسالة السماء ، ولكن القرآن نفسه دلنا على الأصل الثاني الذي يبين أحكامه ويفصل مجمله وهو سنة الرسول ﷺ، ولم يكتف الإسلام بمصدريه الأساسيين الكتاب والسنة بل وضع حساب المستقبل واحتمال تغير ظروف البيئة وتبدل الزمان ففتح المجال أمام الأمة لتتمكن من إقرار ما تتفق عليه فكان الإجماع ثم القياس فهذه الأصول الأربعة هي أصول التشريع الإسلامي ومصادر النظم الإسلامية .